بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كلية العلوم الاسلامية- قسم العقيدة والفكر الاسلامي.

محاضرات في علم الكلام المعاص- المرحلة الرابعة- جمع وترتيب: د. محمد خليل ابراهيم.

المحاضرة الاولى: مدخل لدراسة علم الكلام.

تعريف العقيدة.

العقيدة لغة: على وزن فعيلة، من (العَقْدِ) وهو الربط والشدّ بقوة ، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسُك والمراصَّة بين أطراف الشيء، والاصل استعماله مع الاشياء المادية كالحبل والبناء فيقال: عقد الحبل، وعقد البناء، ثم استعمل هذا اللفظ مع الاشياء المعنوية فيقال عقد اليمين وعقد البيع وعقد النكاح، وما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به فهو (عقيدة).

العقيدة اصطلاحاً: الإيمان واليقين الجازم بالله ، وما يجب له من الربوبية والألوهية والأسماء الحسنى والصفات العلى، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره ، وما أجمع عليه الصحابة -رضي الله عنهم-.

موضوع علم العقيدة :

التوحيد ، والإيمان ، والإسلام ، والغيبيات ، والنبوات ، والقدر ، والأخبار ، وأصول الأحكام القطعية ، وسائر أصول الدين والاعتقاد .

أهمية علم العقيدة.

علم العقيدة علم جليل القدر، عظيم الفخر، هو أجل العلوم على الاطلاق، فهو اساس الدين وزبدة رسلات المرسلين، وشرف العلم بشرف المعلوم والباري أشرف المعلومات، وتتضح أهمية هذا العلم من خلال ما يأتي:

١. ان العقيدة هي الغاية من خلق الجن والانس، قال الله –تعالى-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ {سورة الذاريات، الآية: ٥٦} والعبادة على الصيح المختار هي توحيد الله- سبحانه وتعالى-.

٢. هي الغاية من ارسال الرسل قال الله –تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ {سورة النحل، الآية: ٣٦}والرسول- ﷺ- قضى ثلاثاً وعشرين سنة في الدعوة إلى الله .هي عهد النبوة ، منها ثلاث عشرة سنة في مكة، جُلها كانت في الدعوة إلى تحقيق (لا

إله إلا الله محمد رسول الله) أي الدعوة إلى توحيد الله - تعالى- بالعبادة والألوهية، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان وسائر الوسطاء ، ونبذ البدع والمعتقدات الفاسدة .

٣. ذا تأملنا القرآن الكريم ، المنزل على رسول لله - ﷺ - رحمة للعالمين ومنهاجاً للمسلمين إلى يوم الدين ، وجدنا أن أغلبه في تقرير العقيدة وتقرير أصولها ، وتحرير العبادة والطاعة لله وحده لا شريك له ، واتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، لذلك نجد أن أغلب آيات القرآن الكريم في العقيدة : إما بصريح العبارة، وإما بالإشارة ، حيث إن معظم القرآن جاء في تقرير توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله وحده ، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وأصول الإيمان والإسلام ، وأمور الغيب والقدر خيره وشره ، واليوم الآخر ، والجنة وأهلها ونعيمها ، والنار وأهلها وعذابها ، وأصول العقيدة تدور على هذه الأمور .

٤. ان العقيدة هي من أهم اسباب تحقيق الأمن والاهتداء في الدنيا والأخرة قال الله –تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ {سورة الانعام، الآية: ٨٢} مفهوم الآية يدل على ان صاحب التوحيد التام له الامن التام والاهتداء التام.

٥. انها مصدر القوة القلبية، فالعقيدة الصحيحة هي الدافع والمحرك للعمل والمثبتة في الأزمات –تعالى-: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ {سورة التغابن، الآية: ١١}.

تعريف علم الكلام القديم.

هو علم يُقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، ويعتمد على الدلائل العقلية والمنطقية.

أسباب تسميته بهذا الاسم.

اشتهر بهذا الاسم لعدة اسباب اشهرها:

١. إن أهم مسألة وقع الخلاف فيها، واشتد النزاع حولها في القرون الاولى كانت مسألة (كلام الله) هل هو أزلي قائم بذاته، أم مخلوق حادث ؟ فسمي العلم باسم أهم مسألة فيه.

٢. أنه يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام بين جانبين، وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب.

٣. لعل أوجه الاسباب أن أصحابه (المتكلمين) تكلموا فيما كان السلف من الصحابة والتابعين يسكتون فيه، فالكلام ضد السكوت، والمتكلمون كانوا يتكلمون حيث ينبغي السكوت اقتداً بالصحابة والتابعين الذين لم يخوضوا في المسائل الاعتقادية إلا بحد ضيق.

٤. لأن هذا العلم كلام صِرْفٌ، وليس تحته عمل.

الفرق بين علم الكلام والعقيدة.

١. علم العقيدة يعتمد في اثبات العقائد الاسلامية على الادلة من الكتاب العزيز وصحيح السنة النبوية الشريفة واجماع الصحابة والتابعين، أما علم الكلام فيعتمد في اثبات العقائد الاسلامية على الدلائل العقلية المنطقية.
٢. العقيدة غاية وهدف ، أما علم الكلام فهو وسيلة من وسائل اثبات العقائد والدفاع عنها.

وبهذا يظهر لنا ان العقيدة متى سلمت من المباحث المنطقية والفلسفية فهي علم عقيدة ، ومتى صيغت بالمنطق والفلسفة في الدلائل والمسائل للدفاع عنها فهي علم كلام.

وظائف علم الكلام

اضطَلَعَ علم الكلام -عند نشأته وفي كثيرٍ من عصوره -بمهمتين أساسيتين:

أولاً: بيان العقائد الإسلامية، والبرهنة على صدقها بالأدلة العقلية، والرد على الشبهات والشكوك التي توجه إليها من خصومها على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، ومواقفهم من العقائد بصفة عامة.

ثانياً: مناقشة عقائد المخالفين، وتقديم البراهين والحجج على بطلانها وبيان زيفها، وهي مهمة مكملة للأولى، ولعل المتكلمين فيها كانوا يطبقون الفكرة القائلة بأن الهجوم هو خير وسائل الدفاع.

وهذا يتفق وما قرره الأمام أبو حامد الغزالي-رحمه الله- (ت ٥٠٥ ه) الذي بين أن مقصد علم الكلام هو: حفظ العقيدة وحراستها عن تشويش أهل البدعة، الذين ألقى الشيطان في وساوسهم أمورا مخالفة للسنة، فلهجوا بها، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها. وقد بذل علماء الكلام على اختلاف مدارسهم، جهودا كبيرة في مواجهة خصومهم من أهل الأديان الأخرى من الثنونية والدهرية والملاحدة وأمثالهم، وألفوا في ذلك ال كتب والرسائل، وعقدوا المناظرات، وسافروا للقاء أهل الشبهات في مواطنهم، ونجحوا في إقناع كثير من هؤلاء الخصوم ببطلان عقائدهم، وكان ذلك موضع فخرهم واعتزازهم، ونظروا إلى عملهم على أنه أرفع العلوم وأعلاها، وأنفعها وأجداها، وأحراها بعقد الهمة بها، وصرف لزمان إليها؛ لأنه المتكفل بإثبات الصانع وتوحيده وتنزيهه عن مشابهة الأجسام..، وإثبات النبوة التي هي أساس الإسلام، وعليه مبني الشرائع والأحكام، وبه يترَقى في الإيمان باليوم الأخر من درجة التقليد إلى درجة الإيقان.

تعريف علم الكلام المعاصر.

يرى بعض الباحثين ان علم الكلام المعاصر هو اضافة مسائل جديدة الى الاطار المعروف لعلم الكلام التقليدي، وعليه كلما أضيفت مسائل مستحدثة الى علم الكلام تجدد هذا العلم.

أسباب نشوء علم الكلام.

هناك عوامل ساهمت في نشوء وتطور علم الكلام، وهي احتكاك المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب الفلسفية، عن طريق اللقاء المباشر والجدل مع أصحابها، أو عن طريق الترجمة التي بدأت في عهد الدولة الأموية، ثم اتسعت في عهد الدولة العباسية.

وكان للخليفة المأمون أثر كبير في هذا، حيث فعل ما لم يفعله السابقون، وهو أنه ترجم الكتب الخاصة بالإلهيات والأخلاق وأمثال ذلك مما سموه بـ (ما وراء الطبيعة).

وليس من غرضنا هنا أن نعرض بالتفصيل لحركة النقل والترجمة وأثرها والمنهج الذي سارت عليه والطريق الذي اتخذته، وحسبنا إشارة سريعة إلى الاحتكاك المباشر بين المسلمين وغيرهم عندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وتهيأت الأسباب لهذا الاحتكاك المباشر بين المسلمين واليهود من جهة، وبين المسلمين والنصارى من جهة ثانية، وكذلك بين المسلمين والمجوس، ثم بينهم وبين الفلسفة اليونانية وغيرها.

فاليهود أثاروا الجدل بين المسلمين حول الذات الإلهية والصفات، ومعروف عنهم التشبيه والتجسيم كما هو في كتبهم، وقد انتقلت هذه الأفكار إلى التراث الإسلامي مما عرف بـ (الإسرائيليات) في كتب التفسير والحديث.

وأثاروا أيضا بين المسلمين الجدل حول الجبر والاختيار وغير ذلك من أمور عقائدية، وعندئذ قام المسلمون بالرد على مفتريات اليهود وشبهاتهم وناقشوا عقائدهم، واصطنعوا لذلك منهجا يقوم على النظر والدليل، وأما النصارى؛ فقد بدأ الجدال بينهم وبين المسلمين في الحبشة أولا، عند الهجرة الأولى للمسلمين، في حقيقة المسيح، وفي الكلمة وغيرها، وفي مسائل تدور حول العقيدة الإسلامية في المسيح، وحول مسائل الألوهية، وفكرة الجوهر والعَرَض، والأقانيم الثلاثة، والوحدانية، وفكرة الخطيئة والصلب.

وكان لترجمة كتب الفلسفة اليونانية والرومانية وإقبال بعض المسلمين عليها، أثر في بعض المسلمين الذين فتنوا بها، فحاولوا التفلسف في ضوئها وتأثروا بها منهجا وموضوعا حين راحوا يفسرون تعاليم الإسلام في ضوء هذه الفلسفة، وحاولوا التوفيق بينها وبين الإسلام، وفسّروا القرآن على ضوء الفكر اليوناني، ومع أن هذه الفلسفة وسَّعت آفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام، فإنها غشَّت على أبصارهم في فهم القرآن.

ومن هذا العرض الموجز للعوامل المؤثرة في نشأة علم الكلام يمكن أن نقول: إن هذه النشأة كانت استجابة لضرورة طبيعية ملحة، تمثلت في مشكلات سياسية واجتماعية نجمت في حياة المسلمين، وباتت تهدد باستفحالها المطرد البناء الديني، الذي قام عليه المجتمع الإسلامي. كما تمثلت في تحديات دينية وفلسفية مع الأديان والفلسفات القديمة، باتت تروج بين المسلمين وتهدد بنية العقيدة الإسلامية.